

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية، حيث عالج الرسول بولس مشكلة هامة واجهت الكنيسة عند نشوئها. أما هذه المشكلة فكانت علاقة المؤمنين في المسيح بالشرعية، أي بالناموس الذي أنزله الله قديماً على كلمه النبي موسى. وإن كان يجب عليهم لكي يخلصوا أن يعملوا بهذه الشرعية، ويمارسوا فريضة الختان أو التطهير. وهذا ما كان قد علم به بعض المعلمين من أصل يهودي، الذين هاجموا الرسول بولس شخصياً.

فردّ عليهم الرسول بولس مؤكداً أن المخلص المسيح قد دعاه، وأعلن له رسالة الإنجيل، وأن الرسل أفرزوه رسولا للأمم. وأن الإنسان يتبرر بالإيمان بالمسيح فقط. وبرهن الرسول بولس من إبراهيم الخليل أن التبرير بالإيمان وليس بالناموس. وأن موعد الله لإبراهيم قد تمّ بمجيء المسيح. بينما كانت الشرعية التي أضيفت عهداً شرطياً. وأعلن الرسول بولس أن الناموس الذي كان عهداً مؤقتاً إلى أن يُعلن الخلاص بالإيمان بالمسيح، لم يبطل موعد الله لإبراهيم. واعتبر أن الإنسان كان قاصراً في عهد الناموس، الذي انتهى بعد مجيء المسيح.

وأوضح الرسول بولس أن كل من يؤمن بالمسيح يصبح من أولاد الله. وإن كل من يعتمد بالماء يلبس المسيح، أي إشارة ورمز إلى إتحاده مع المسيح في موته وقيامته، وهكذا يحيا المسيح المقام في حياته. وأنه في المسيح لم يعد هناك فرق بين شعب وآخر، وطبقة وأخرى، وجنس وآخر، وصار جميع المؤمنين واحداً. وأعلن الرسول بولس أن المؤمنين بالمسيح هم نسل إبراهيم الحقيقي ويحق لهم وراثته مواعيد الله له.

ولأهمية هذه النقطة علينا أن نشرحها لبعض الوقت. إن السؤال الذي يجب أن نطرحه في هذا المجال هو: من هو شعب الله؟ وهل مازال اليهود شعب الله الأرضي الخاص كما يظن البعض؟ للإجابة عن هذه التساؤلات نقول: استناداً إلى ما ذكره الرسول بولس نستطيع القول إن المؤمنين بالمخلص المسيح هم شعب الله، شعب الله الذي أصبح بالإيمان من أولاد إبراهيم. لقد سبق لله أن وعد إبراهيم الخليل أنه سيصبح أباً لجمهور من الأمم. إذ قال الله لإبراهيم: "أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أباً لجمهور من الأمم. فلا يُدعى اسمك بعد إبرام بل يكون اسمك إبراهيم. لأنى أجعلك أباً لجمهور من الأمم." (تكوين ٧: ٤ و٥) لقد كان عهد الله مع إبراهيم

منذ البداية إذن أنه سيجعله أبا لجمهور من الأمم، أي أبا لأناس كثيرين ومن أمم وشعوب كثيرة. وهذا الجمهور كما اتضح لنا هو كل المؤمنين بالمسيح، أي كنيسة المسيح الحقيقية.

إن هؤلاء المؤمنين بالمسيح الذين أصبحوا من أولاد الله ومن شعبه، قد صاروا إذن من نسل إبراهيم. فهم الذين وعد الله إبراهيم أنه سيصبح أباهم، بالرغم من اختلاف جنسياتهم وقومياتهم. وليس هذا فحسب، بل صارت تحقق لهم كل مواعيد الله التي وعد بها الله إبراهيم. وهي المواعيد بالبركات الروحية والسماوية، وورثة ملكوت الله. إذن إن المؤمنين بالمسيح هم شعب الله. وهذا يؤكد أن بركات الله الحقيقية يحصل عليها الإنسان من خلال الإيمان بالمخلص المسيح فقط، وليس عن طريق حفظه للشريعة وتقيده بها. وهذا برهان هام آخر يؤكد انتهاء عهد الناموس وعدم ضرورة عمل الإنسان به.

لكن ماذا عن اليهود؟ وهل مازالوا شعب الله الأرضي الخاص كما يظن البعض؟ بدا لنا واضحا من كلام الرسول بولس، أن شعب الله اليوم هم المؤمنون بالمسيح فقط. وهكذا لم يعد لليهود أية علاقة خاصة بالله. إن كل يهودي يؤمن بالمخلص المسيح، أي يصبح مسيحيا، يصير من شعب الله، ومن نسل إبراهيم الحقيقي. أي على اليهودي أن يؤمن بكثيره بالمخلص المسيح ليصبح من شعب الله ومن أولاده.

ملاحظة لقراء الموقع الإلكتروني: إذا أردتم معرفة المزيد عن هذا الموضوع الهام الرجاء مراجعة دراستنا لسفر رومية، الأصحاحات ٩ و ١٠ و ١١.

نكون بهذا قد انتهينا من دراسة الأصحاح الثالث من رسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية. ننقل الآن إلى الأصحاح الرابع. حيث تحدث الرسول بولس عن وضع الإنسان زمن الناموس أو الشريعة. فكتب قائلا: "وإنما أقول ما دام الوارث قاصرا لا يفرق شيئا عن العبد مع كونه صاحب الجميع. بل هو تحت أوصياء ووكلاء إلى الوقت المؤجل من أبيه." (غلاطية ٤: ١ و ٢) ضرب الرسول بولس هنا مثلا واقعيا، فقال أنه عندما يكون الوريث لأب غني ولدا قاصرا، فحالته شبيهة بحالة العبد، إذ يوجد من يأمره بما يفعل. ويكون هناك أوصياء مسؤولون عنه، ووكلاء يديرون أعمال ممتلكاته. ويبقى هذا القاصر تحت سلطان الأوصياء والوكلاء إلى أن يبلغ سن الرشد، و يأتي الوقت المؤجل من قبل والده، والذي يستطيع فيه فعلا أن يأخذ الميراث ويدير شؤون أملاكه.

ثم طبق الرسول بولس هذا المثل الواقعي على الإنسان في عهد الناموس، فكتب قائلا: "هكذا نحن أيضا لما كنا قاصرين كنا مستعبدين تحت أركان العالم." (غلاطية ٤: ٣) وبتعبير آخر أن الإنسان عندما كان في زمن الشريعة أو الناموس، كان كالولد

القاصر. و كان تحت وصاية قوانين الناموس الثقيلة، التي استعبدته بفرائضها المتنوعة وطقوسها المختلفة. فالناموس كان يعامل الإنسان كولد قاصر، ويفرض عليه أوامره الحرفية الدقيقة من الخارج، ويطلب منه التقيد بها. لكن ناموس الله وجد لفترة مؤقتة كما ذكرنا سابقا، إلى أن يأتي المسيح المخلص.

وهنا كتب الرسول بولس قائلًا: "ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة مولودا تحت الناموس. ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني." (غلاطية ٤: ٤ و ٥) إن تعبير "ملء الزمان" يشير إلى الوقت الذي حدده الله منذ الأزل، لكي يرسل ابنه الوحيد أو كلمته الأزلي إلى عالمنا. وهكذا عندما أتى هذا الوقت المعين نفذ الله خطته الأزلية بإرسال المخلص المسيح.

وكان الله قد سبق له أن وعد الإنسان منذ أن سقط في الخطية، ومرات عديدة، أنه سيرسل له المخلص، الذي سيحرره من العبودية، وينقذه من الموت الروحي والأبدي، ويهبه الغفران والحياة الروحية الجديدة والخلود. فلقد وعد الله بعد أن سقط آدم وحواء في خطية العصيان، وعد أنه سيأتي من نسل المرأة، المخلص الذي سيسحق رأس الحية الشيطان. ثم وعد إبراهيم الخليل أنه سيأتي من نسله، الذي ستتبارك به جميع الأمم. ولهذا كتب الرسول بولس هنا في هذه الأعداد المقدسة، أنه في ملء الزمان، أي عند انتهاء زمن الناموس، أرسل الله ابنه مولودا من امرأة. أي حقق الوعد الذي سبق له أن وعد به، أنه سيرسل المخلص من نسل المرأة.

وكما هو معروف فلقد حُبل بالمخلص المسيح، بالروح القدس في أحشاء العذراء مريم، أي ولد من دون زرع بشري. ولهذا نقرأ عن المسيح أنه كلمة الله الأزلي المتجسد، الذي صار إنسانا، آخذا طبيعتنا البشرية، لكن من دون خطية. أما هدف إرسال المخلص المسيح، فهو لكي يفتدينا نحن البشر الخطاة بموته الكفاري على الصليب.

فهل تؤمن مستمعي بهذا المخلص الفريد الذي تنازل من السماء لكي يمنحك الغفران والخلود؟ مع العلم أننا سنتابع هذا الموضوع الهام في لقاء الأسبوع القادم إن شاء الله.